

الدبابات، ودفاع جوي ضد الطائرات يضم صواريخ سام - 7، وسام - 9، إضافة إلى المدافع والرشاشات الثقيلة. وهذا يعني أن قوة الفدائيين «زادت كثيراً». وهذا ما رأيناه، في الأيام الأخيرة، على الحدود الشمالية؛ حيث كانت تسقط عشرات صواريخ الكاتيوشيا والقذائف كل يوم» (عل همشمار، ١٩٨١/٧/٢٤).

وتحدث الاسرائيليون، كذلك، عن تطويرين لهما دلالة عسكرية، برزا في الفترة الأخيرة، الأول هو ظهور الليبيين في المنطقة؛ وهم عنصر «غير مسؤول تماماً، ويصعب رده بسبب بعد مراكزه الحيوية عن حدود اسرائيل» (هآرتس، ١٩٨١/٧/٢٠). أما التطور الثاني، فهو إدخال الصواريخ السورية إلى البقاع؛ مما يعتبر بداية نشر المظلة السورية فوق القاعدة العسكرية في جنوب لبنان.

ويتساعل الاسرائيليون، في تبرير اعتداءاتهم، هل كان يجب النظر بلا مبالاة إلى هذه الوقائع، والانتظار حتى يكمل الفدائيون استعداداتهم، ويبدأون إطلاق النار؛ ويقول رفائيل ايتان، رئيس الأركان، في هذا الصدد، أنه لو سمحنا لهم بالاستمرار «ستكون النتائج خطيرة في المستقبل» (هآرتس، ١٩٨١/٧/١٥). ويشير الاسرائيليون إلى أنهم اتبعوا أسلوب اللامبالاة في كثير من التجارب السابقة سواء أكان ذلك مع الفدائيين: في الاردن وجنوب لبنان أم مع عبدالناصر على قناة السويس. وكانت النتائج قاسية. لذلك تولد لديهم افتراض، بعد كل تلك الاستعدادات من قبل الفدائيين، إن البدء باطلاق النار هو مسألة وقت فقط؛ خاصة أن الأمر لا يتعلق بدولة معادية، بل هو مرتبط بالفدائيين الذين يسعون «لتدمير اسرائيل»، وإدارة حرب يومية ضدها.

لذلك جاءت المبادرة أو عدم اتخاذ موقف سلبي، حسب تعبير تسيبوري، من جانب اسرائيل، فقد أعلن هذا صراحة أن اسرائيل «لم تخطيء عندما اتخذت قرار بدء الحرب الوقائية ضد [الفدائيين]» (عل همشمار، ١٩٨١/٧/٢٤).

ضرب بيروت والخط العسكري الجديد

جاءت العمليات العسكرية الاسرائيلية الشاملة، وبخاصة قصف الجسور وضرب

الأهداف المدنية في بيروت، إشارة لانتهاج مرحلة وبداية أخرى جديدة في النهج العسكري الاسرائيلي. فمُنذ نيسان (ابريل) ١٩٨٠، اتبع الاسرائيليون ما أصبح يعرف باسم «هجمات رفول» نسبة إلى رئيس الأركان الاسرائيلي منفذ هذه السياسة، الذي تلقى «ضوءاً أخضر» لتطبيقها من الحكومة الاسرائيلية في أعقاب عملية مسغاف عام. وتميزت هذه الهجمات بطابع العمليات الصغيرة والمتنوعة والمستندة على دمج وسائل متعددة ومتطورة برأ وبحراً وجواً.

وفي اللحظة التي بدأت فيها الهجمات الجديدة، أعلن عن انتهاء أسلوب «رفول» وإتباع أسلوب جديد، وضع أسسه رئيس الوزراء منحيم بيغن. ويقضي هذا الاسلوب بوقف العمليات الصغيرة التي تنفذ تحت جنح الظلام، وإتباع أسلوب العمل العنيف الواسع والمدمر. ويقول بأنه يجب ضرب الفدائيين باستمرار لمنعهم من إعادة الانتظام وضرب قاعدتهم التحتية. وهذا يفرض «مضاعفة الضغط العسكري الاسرائيلي على لبنان لاجبارها على العمل ضد [الفدائيين] رغم ضعف النظام اللبناني» (معاريف، ١٩٨١/٧/١٩). أي، يجب ضرب الدولة التي تضم الفدائيين أو تساعدهم. ويأخذ هذا الخط بالحسبان احتمالات أن يصاب مدنيون من جراء قصف مواقع الفدائيين وقياداتهم عندما تكون هذه مأهولة بالسكان «إذ لا يوجد لاسرائيل خيار إلا العمل ضد هذه التحشدات». (ويتفق في تحليل توجهات هذا الخط كل من يعقوب ايرز المراسل العسكري، وإيلان كفير المراسل السياسي لصحيفة معاريف).

وقد حرص منحيم بيغن، شخصياً، على صياغة البيان الصادر عن الحكومة الاسرائيلية. عقب الغارة على بيروت، ليؤكد تبنيه ورسمه للخط العسكري الاسرائيلي الجديد. وادعى البيان أن الجيش الاسرائيلي كان يتجنب دائماً ضرب المدنيين. وأن منظمات الفدائيين هي التي تقوم بضرب السكان المدنيين في اسرائيل. وأضاف: «لن نسلم أبداً بهجمات من هذا النوع أو بنتائجها. وهذه المرة، أيضاً، لن نوجه نيراننا قصداً ضد السكان المدنيين. ولكننا سنواصل الهجوم ضد قواعد [الفدائيين] ومقر قياداتهم،